الاستيلاء على مكة

الاستيلاء على جدة فمكة بالتواطؤ مع الشريف :

يقول بركهارت ان الشريف غـــالب ، شريف مكة ، الذي أصبح موالياً للعثمانيين ، أرسل إلى أحمد طوسون يستقدمه إلى جدة ومكة ..

فأرسل طوسون جيشاً من ألف فارس وخمسمائة من المشاة ، وعقـــد لواءه لمصطفى بك ، صهر محمد علي ، وهو من الذين اشتهروا بالقسوة وشدة الفتك .

انقسم جيش مصطفى بك إلى قسمين ، فذهب قسم قليـــل مؤلف من بضع مئات إلى جدة ، ودخلها بأمان ..

وسار كبر الجيش إلى مكة ، ودخلها بأمان أيضاً .

وأما المضايفي فقـــد كان انسحب إلى الطائف ، لاقتناعه بأنه عاجز عن مقاومة العسكر .

رواية ابن دحلان :

ويقول ابن دحلان ان الشريف غـالب كاتب العساكر الذين في ينبع وطلب منهم الحضور للاستيلاء على جـــدة ومكة ، فجاءت عساكر من طريق البحر واستولت على جدة في أوائل المحرم سنة ١٢٢٨ هـ .

(وكان بمكة جماعة من الوهابية في القلعة ، يسمونهم « المهاجرين » ، فلمـا بلغهم وصول العساكر إلى جدة « خرجوا » من القلعة في الليل ، فأصبحت القلعة

ومكة خاليتين منهم)،فجاءت العساكر المصرية ودخلوا مكة بأمان، واستقبلهم الشريف غالب وأكرمهم .. (وكل ذلك بلا قتال بتدبير الشريف سراً ..)

(.. وكان سعود أمير الوهـــابية ، حج في سنة ١٢٢٧ هـ . ثم ارتحل إلى الطائف فالدرعية ..

ولما وصل إلى الدرعية علم باستيلاء المصريين على مكة .) .

رواية ابن بشر :

ويقول ابن بشر ، في أخبار سنة ١٢٢٧ هـ . التي استولى فيهـا المصريون على المدينة ، ان الإمام سعود حجّ في ذلك العام حجته التاسعة ، وأقام على عادته في مكة إلى العشر الأواخر من ذي الحجة، وبذل الصدقات وكسا الكعبة،واجتمع بالشريف غالب مراراً وتهاديا ، وكان قد بلغه خبر المدينة قبل قدومه إلى مكة، فأبقى في مكة (عساكر ممن كان معه ، وبايعه غالب « عن الخيانة والغدر » .)

ثم خرج سعود من مكة وسار إلى الدرعية ، بعـد أن أمر ابنه عبد الله أن ينزل بجميع الجنود في وادي مر ، المعروف ، قرب مكة .

(ثم بعـــد ذلك بأيام يسيرة اجتمعت العساكر المصرية وساروا من المدينة إلى مكة .

.. فوقع من غالب ما أوحش عبد الله بن سعود ، فأرسل إلى العساكر الذين في مكة واستظهرهم ، فرحل عبد الله من مكانه وانحاز إلى « الريعـان » ، ثم رحل وانحاز إلى « العبيلاء » ونزل عندها بالمسلمين .

ثم أمر عثمان المضايفي ، وكان معه ، أن يتجهز لبـلده الطائف ويضبطها ، فسار عثمان اليها .

وارتحل عبد الله من العبيلاء وتوجه إلى الخرمة .. قافلا ، وقد دخل المسلمين الفشل ، وذلك بقضاء الله وقدره وبسبب ذنوبنا ، نسأل الله المغفرة .) .

ويردف ابن بشر ، في أخبار سنة ١٢٢٨ هـ . قائلا :

(ثم ان طوسون والعساكر المصريين ساروا الى مكة ودخلوها بغير قتال ،

وذلك بعد ما قفل عبد الله ، فنزل طوسون قصر « القرارة » المعروف في مكة .
وكان الشريف هو الذي دعاهم لدخولها ، ومالأهم عليه) .

أفراح محمد علي بهزيمة العرب والاستيلاء على مكة :

ويقول الجبرتي ، في أخبار سنة ١٢٢٨ هـ . :

(وردت البشائر من البلاد الحجازية باستيلاء العساكر على جدة ومكة من غير حرب) .. فضربوا المدافع وزينوا خمسة أيام ، وكان ذلك في « قوة فصل الشتاء » ..

وأرسل محمد علي باشا الكتب الى كبار الولاة في الشام والعراق ، يبشرهم بالفتح العظيم .. ليفرحوا بذلك ويخبروا من حولهم ..

أفراح استانبول :

ويقول ابن دحلان في الفتوحات الإسلامية ان محمد علي أرسل المبشرين الى دار السلطنة ومعهم المفاتيح وكتبوا اليهم انها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف ، (فدخلوا بها دار السلطنة بموكب حافل ، ووضعوا المفاتيح على صفائح الذهب والفضة ، وأمامهم البخور في مجامر الذهب والفضة ، وخلفهم الطبول والزمور ، وعملوا لذلك زينا وشنكا ومدافع ، وخلعوا على من جاء بالمفاتيح ، وزادوا في رتبة محمد علي باشا ، وبعثوا له أطواخاً ، وعدة أطواخ بولايات لمن يختار تقليده) .

السلطان التركي يستعيد لقبه المفقود :
« خادم الحرمين الشريفين » :

ويقول الجبرتي ، في أخبار جمادي الثانية سنة ١٢٢٨ هـ . :

(وصل من الديار الرومية واصل ، وعلى يده مرسوم فقرىء بالمحكمة .. ومضمونه الأمر للخطباء في المساجد يوم الجمعة على المنابر بأن يقولوا عند الدعاء للسلطان ، فيقولوا :

« السلطان ابن السلطان — بتكرار لفظ السلطان ثلاث مرات — محمود خان بن السلطان عبد العزيز خان بن السلطان أحمد خان الغازي .

خادم الحرمين الشريفين » .

.. لأنه استحق أن ينعت بهـــذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين) الخ ..

رسالة سليمان باشا الى الأمير بشير :

أثبت الأمير حيدر الشهابي في تاريخه صورة الكتاب الذي أرسله والي الشام سليمان باشا الى الأمير بشير الشهابي ، حاكم لبنان ، يخبره فيه بفتح مكة ، وقد استعمل فيه نعوتاً فاجرة في وصف أهل نجد ، وهـــذا هو الكتاب نورده ، بعد حذف كلمات نابية فيه ، فاليوم يعرف الناس كلهم حقيقة الدعوة السلفية الإصلاحية التي كانوا يسمونها «الوهابية» ، وأنها تمثل الإسلام في أصفى معانيه ، وأما افتراءات الخصوم وسبابهم فإنها تدل على سوء أدبهم مع ربهم ثم مع الناس ولا تضر الدعوة شيئاً .

صورة الكتاب :

(من سليمان باشا المعظم والي دمشق الشام

الى افتخار الأمراء الكرام ذي القدر والاحترام ، جناب ولدنا الأعز الأمجد الأمير بشير الشهابي ، زيد مجده .

بعد التحية والسلام ، بمزيد الاعزاز والاكرام ، نبدي اليك أنه يوم تاريخه قد ورد لنـــا كتاب من سعادة الأخ الأفخم والي مصر القاهرة المحترم يخبرنا ان سعادة ولده طوسون باشا بعـــد استيلائه على المدينة المنورة ، توجه بعساكره المظفرة الى جـــدة المطهرة ، وقطع دابر الوهابيـة « ... » ، وأدار عليهم الدائرة ،بقدرة ملك الدنيا والآخرة وتطهرت منهم تلك الرحاب الشريفة والديار المنيفة ، واستولى على مكة المعظمة وجدة وتلك البقاع المكرمة ، ولم يبق أحد في تلك الديار ، من اولئك الوهابية ..

وبما ان هذه البشارة تجلب السرور التام ، الى جميع الإسلام ، أرسلنا اليكم مرسومنا هـــذا لكي تشهروه على الخاص والعام ، وتستجلبوا الدعوات الخيرية

لحضرة مولانا السلطان الذي هو ظل الملك العلاّم وخليفة سيّد الأنام ، ولنا ولجميع المسلمين من الرعايا وولاة الأحكام،وليكن ذلك معلوماً عندكم تعتمدونه والسلام) .

شيخ حرم مكة :

.. وابتهاجاً باستيلاء طوسون على مكة وتكريماً له ، أصدر السلطان العثماني فرماناً ثبّت فيه طوسون باشا « والياً على جدة والحبش » ، ومنحه لقب : « شيخ حرم مكة » ..